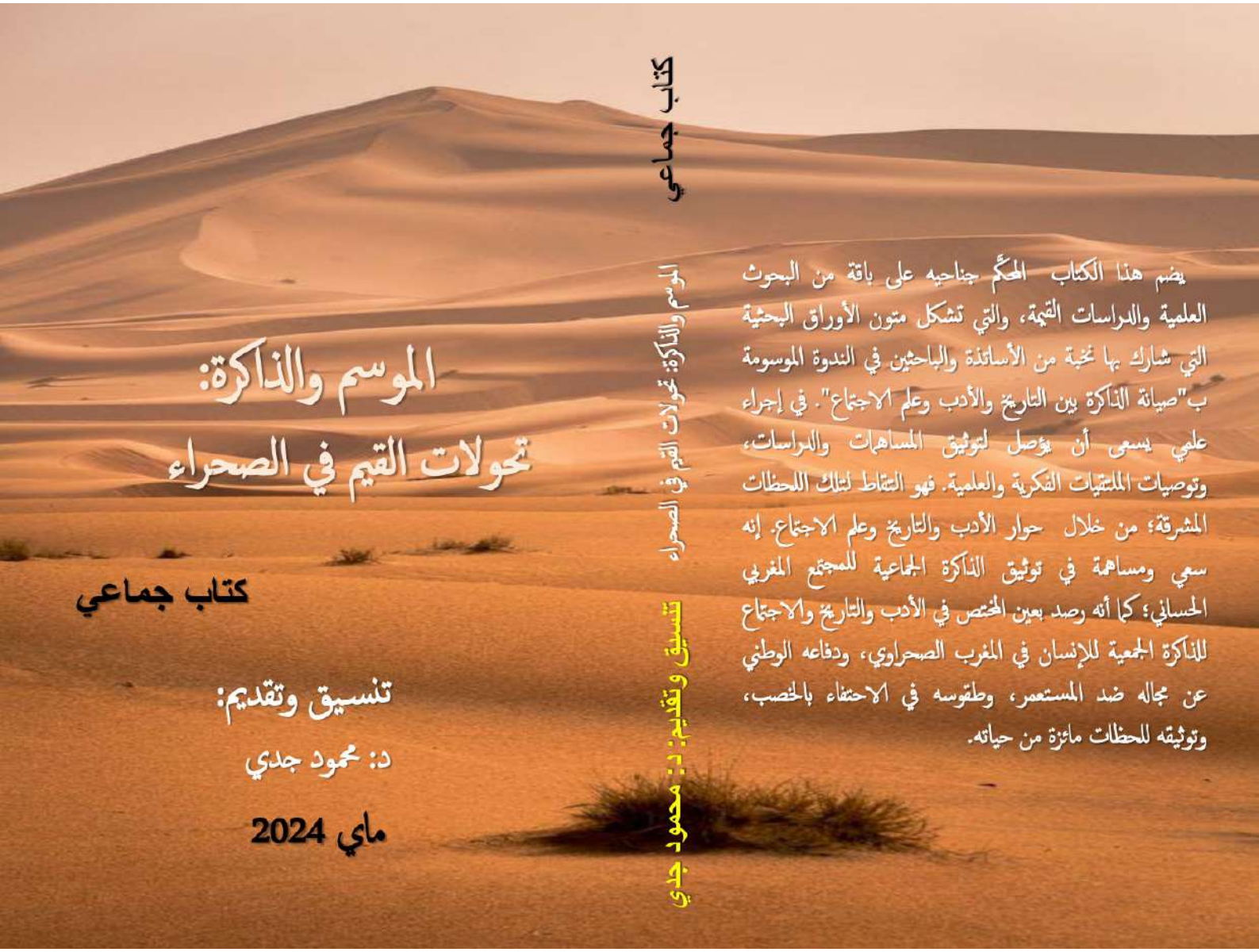

الموسم والذاكرة:
تحولات القيم في الصحراء

كتاب جماعي

تنسيق وتقديم:

د: محمود جدي

ماي 2024

كتاب جماعي

الموسم والذاكرة: تحولات القيم في الصحراء

تنسيق وتقديم: د: محمود جدي

يضم هذا الكتاب المحكَّم جناحيه على باقة من البحوث العلمية والدراسات القيمة، والتي تشكل متون الأوراق البحثية التي شارك بها نخبة من الأساتذة والباحثين في الندوة الموسومة ب"صيانة الذاكرة بين التاريخ والأدب وعلم الاجتماع". في إجراء علمي يسعى أن يؤصل لتوثيق المساهمات والدراسات، وتوصيات الملتقيات الفكرية والعلمية. فهو التقاط لتلك اللحظات المشرقة؛ من خلال حوار الأدب والتاريخ وعلم الاجتماع. إنه سعي ومساهمة في توثيق الذاكرة الجماعية للمجتمع المغربي الحساني؛ كما أنه رصد بعين المختص في الأدب والتاريخ والاجتماع للذاكرة الجمعية للإنسان في المغرب الصحراوي، ودفاعه الوطني عن مجاله ضد المستعمر، وطقوسه في الاحتفاء بالخصب، وتوثيقه للحظات مائزة من حياته.

الموسم والذاكرة:
تحولات القيم في الصحراء

كتاب جماعي

تنسيق وتقديم:

د. محمود جدي

ماي 2024

عنوان الكتاب: الموسم والذاكرة: تحولات القيم في الصحراء

-**المؤلف:** كتاب جماعي

-**الطبعة:** الأولى، ماي 2024

-**تنسيق وتقديم:** د. محمود جدي

-**رقم الإيداع القانوني:** **Dépôt Légal : 2024MO2535**

-**ردمك:** ISBN : 978-9920-31-757-3

-**المطبعة:** Dream Fourniture

العنوان: حي الزيتونة، الدشيرة انزكان

الهاتف: 06.09.00.11.08

البريد الإليكتروني: dreamfourniture@gmail.com

اللجنة العلمية:

- الدكتور **فريد أمعضشو**: مركز مفتشي التعليم، الرباط.
- الدكتور **ابراهيم مهديوي**: كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة.
- الدكتور **محمود جدي**: المدرسة العليا للتربية والتكوين بأكادير.
- الدكتور **محمد الصافي**: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير.
- الدكتورة **خديجة يوسفي**: المدرسة العليا للتربية والتكوين بأكادير.
- الدكتور **الصديق الصادقي العماري**: أستاذ، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، درعة تافيلالت.
- الدكتور **مراد لمتيوي**، أستاذ، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، كلميم واد نون.

الفهرس

تقديم..... 01

د. محمود جدي

- **تحولات الأدوار النسائية بالصحراء المغربية : الساقية الحمراء ووادي الذهب نموذجا**..... 05

د. الصديق الصادقي العماري

- **الرق في زمن العولمة، قراءة في تحولات القيم في مجتمع الطنطان من خلال رو اية "لمعلم بلال" لمحمد أحمد الومان**..... 33

د. محمود جدي

- **التراث الشفهي بالصحراء بين توظيف البعد التاريخي والحفاظ على الذاكرة الجماعية في ظل التحولات المجتمعية.**..... 41

د. محمد الصافي

- **الطب الشعبي لدى البيضان بمنطقتي الساقية الحمراء وتيرس بين الطب والخر افة**..... 69

حم شرقاوي

- **ذاكرة المجتمع الحساني كموضوع للبحث التاريخي**..... 100

محمود الزهي

- **رو اية "شموخ مقبرة"، نوستالجيا الوفاء، وصك الإدانة القاسي**..... 114

د. محمود جدي

- **جينيالوجيا الرو اية المغربية العربية الحديثة بين سلطة الذاكرة السردية الجمعية وثورة التجربة النقدية الفردية**..... 124

د. ابراهيم الكَرمالي

- **طقوس الزواج مظهر من مظاهر الاحتفالات الشعبية بواد نون مشهد" تْسَنْكيفْ" نموذجا**..... 145

د. إزانـة سكـيح

تحولات الأدوار النسائية بالصحراء المغربية

الساقية الحمراء ووادي الذهب نموذجا

د. الصديق الصادقي العماري

علم الاجتماع

أستاذ، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين درعة تافيلالت

تقديم

إن حضور المرأة الحسانية القوي والبارز في مختلف الميادين جعلها ركيزة أساسية في بنية المجتمع الصحراوي سواء زمن الترحال أو الاستقرار، وعلى الرغم مما اعترى حياتها من تحولات وتطورات وتغيرات جمة، فإنها استطاعت أن تظل حريصة على الحفاظ عل مكانتها واستثمار المتغيرات الطارئة حولها، من أجل المساهمة في تقوية حضورها وتعزيز وجودها في مجتمعها الراهن. وإذا كانت المرأة هي رمز من رموز المجتمع الحساني، وركيزته الأساسية، فإنها تستدعي معاملة خاصة وتستحق الاحترام والتقدير، وتحظى بعناية فائقة ومكانة مرموقة، هذه المكانة مكنتها من حماية خاصة، وجعلتها في منأى عن أي ضرر مادي أو معنوي، "وتتميز حياة المرأة الحسانية في مجتمعها بالاحترام، والبعد عن الطابع الصدامي وكأنها خلقت للتبجيل والإكرام.

تميزت المرأة الصحراوية على الدوام بأدوار طلائعية إلى جانب الرجل، لأنها كانت تتميز بالفعل الاجتماعي. وهناك نماذج في الصحراء يضرب بهن المثل "كنساء حَسَّانيات عرفن بأدوار اقتصادية وحضور ديني ضمن عشائرهن، ولعل أشهرهن من قبيلة "آل بارك الله"، إذ تعتبر "أعزيزة منت مولود بن بارك الله بن أحمد يزيد"، و"الْخَيْثْ منت أَلَمِينْ بن بارك الله"، و"مريم تلميت منت أحمد البخاري"، من بين النساء اللواتي قمن بحفر الآبار الثلاث "شار" و"اغْوَيِيّت" و"دَوْمَس""[1]. وهذا يدل على أدوارهن الفعالة في بناء المجتمع الحساني. كما تتعدد الأدوار التي تضطلع بها المرأة الحسانية في مجتمعها لتغطي مختلف مناحي الحياة، فلا يقتصر بذلك اهتمامها على مملكتها الخاصة فقط، بل يتعدى ذلك إلى إثبات قدرتها كعنصر فعال في المجتمع، فهي ليست على حد تعبير الدكتور محمد الغربي: "سيدة

[1] ولد عبد الله العتيق (أحمد بابا)، تاريخ حياة الشرفاء أهل بَارْكَلَّه أخلاقهم وعاداتهم، نواكشوط، ط2، 2008، ص 73.

البيت المطلقة أو مربية الأولاد أو المحافظة على كيان الأسرة بقدر ما هي فوق ذلك عنصر اقتصادي وسياسي لا مندوحة عنه ولا سبيل لتجاهله "[1].

وقد اهتم المجتمع الصحراوي بالمرأة كثيرا، وأعطاها المكانة التي تستحق من خلال استحضار النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي مجدتها وطالبت بالرفق بها، حيث تغنى الشعراء بفضائلها ودافع العلماء عن مكانتها، واستحضر الأبناء أدوارها التربوية، وأدرك الآباء والأزواج قيمتها الاجتماعية والانسانية، ولذلك اعتنى المجتمع الصحراوي بأنثاه أما كانت أو زوجة أو أختا أو بنتا، وعاتب كل من قلل من احترامها وقصَّر في إكرامها. فمنذ أن كانت هذه المرأة طفلة حظيت باهتمام والديها، وقد تم توصيفها بالاسم الجيد والمعبر عن ثقافة المجتمع الصحراوي وأصالته منذ ولادتها كتسميتهم للأنثى الغالية، والعالية للدلالة على قيمتها ومكانتها عند والديها، ويختارون لها أحيانا أسماء بعض زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته مثل عائشة وخديجة وزينب وفاطمة، وإن كان أهل الصحراء يضيفون لهذه الأسماء في بعض الحالات حرف الواو كقولهم مثلا عيشتو وخديجتو وفاطمتو، كما يسمونها امباركة وأم الخير للدلالة على الخير والبركة، فيتطلعون إلى سلامتها وأمنها من كل العيوب والمشاكل فيسمونها "السالكة" و"السالمة" و"محجوبة"، وغيرها من الأسماء التي تداولها سكان الصحراء اعترافا منهم وتقديرا للمرأة.

وفي ضل سياق عمل المجتمع الدولي والالتزامات الدولية بشأن المساواة بين الجنسين، سمحت ببروز دينامية على المستوى الدولي تُرجمت إلى تظاهرات دولية، واتفاقيات دولية، وإصلاحات سياسية مهمة، بالإضافة إلى تطوير آليات من أجل إنعاش القيادة النسائية، سواء من حيث المشاركة السياسية أو من حيث صنع القرار في القطاع العام أو الخاص، (ندوة بيجين، والاتفاقية الدولية للقضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة، والأهداف الإنمائية للألفية، وإحداث هيئة الأمم المتحدة للمرأة..)، و"جعل الأولويات في ميدان تحقيق المساواة بين الجنسين في صميم التخطيط والميزانية والإحصاءات الوطنية والمحلية والقطاعية"[2]. وتقرير التنمية الإنسانية للعام 2005، نحو النهوض

---

[1] الغربي محمد، الساقية الحمراء ووادي الذهب، منشورات دار الكتاب، الدار البيضاء، (د.ت)، ص 153.

[2] المديرية العامة للجماعات المحلية بوزارة الداخلية عبر مديرية تأهيل الأطر الإدارية والتقنية، تنظم سلك الندوات لفائدة السيدات المنتخبات والنساء الأطر العليا على المستوى الجماعات المحلية، الندوة الجهوية الأولى حول موضوع: " إنعاش القيادة النسائية على مستوى الجماعات الترابية المغربية،

بواقع المرأة في العالم العربي. وقد أكد هذا التقرير أنه "لا خلاف في أن البلدان العربية قد تمكنت من تحقيق إنجازات مشهودة من النهوض بالمرأة، ولكن مازالت أمامنا أشواط لبلوغ الغايات النهائية المرغوبة وفق تصور تقرير التنمية الإنسانية لنهوض المرأة في العالم العربي، وهذا التقرير يمثل الحلقة الرابعة من سلسلة رباعية أسهمت إسهاما كبيرا في النقاش الدائر حول تحديات التنمية التي تواجه العالم العربي"[1] ويمثل الاستثمار في مشاركة الشباب اعترافا بمساهمتهم الفعالة والايجابية في المجتمع خصوصا في التفهم بين الثقافات. و"ينبغي لهذا الاستثمار استهداف الشباب من جميع الخلفيات الثقافية والدينية، بمن فيهم الشباب من مجتمعات متباينة، فضلا عن الشباب دوي الإعاقات والمعرضين للتأذي أو المهمشين"[2].

هناك حراك على المستوى الدولي والوطني من أجل الرقي بمستوى المرأة، كما تم اعتماد استراتيجيات جوهرية لتمكين المرأة من نصيب من القيادة، والانخراط في مسلسل التنمية المستدامة خاصة، غير أن "النهوض بالمرأة في الوطن العربي يتطلب نظرة مركبة وشاملة، تعيد النظر، في الوقت نفسه، في أطر التفكير والسلوك علي جميع المستويات، وتطرح وفقها استراتيجيات جديدة تطال مختلف مؤسسات المجتمعات العربية"[3]. وشكلت منطقة الساقية الحمراء إحدى الجهات الواقعة بالشمال الغربي للصحراء المغربية، و "هي أرض مشهورة، كما أنها آخر شنقيط من جهة وادنون تبعد عن شنقيط عشرين يوما بالسير الحثيث"[4]، وتقع بالضبط ما بين خطي الطول 10 و14° غرب خط الطول غرينتش، تحدها من الشمال الشرقي جهة كَلميم- وادي نون ومن الجنوب جهة وادي الذهب الكَويرة، ومن الشرق الجمهورية الإسلامية الموريتانية، ومن الغرب والشمال الغربي المحيط الأطلنتي، وتستمد اسمها من واد منبعه بمنطقة "لحمادة" أطلقت عليه تسمية "الساقية الحمراء"، وتمثل

جهة كلميم السمارة، بتاريخ 30/29/28 مارس 2013 بشراكة مع هيئة الأمم المتحدة للمرأة وولاية جهة كلميم السمارة وكالة التنمية الاقتصادي والاجتماعية للأقاليم الجنوبية للمملكة وشبكة النساء المنتخبات المحليات بإفريقيا ومنظم المدن والحكومات المتحدة بإفريقيا.

[1]السعيد رشيد، ولحرش كريم، الحكامة الجيدة بالمغرب ومتطلبات التنمية البشرية المستدامة، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، أبريل 2009، ص 69.

[2]تقرير التنمية الانسانية العربية، الشباب والأفاق: "التنمية الانسانية في واقع متغير، شعوب متمكنة وأمم صامدة"، صادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المكتب التنفيذي للدول العربية، بيروت، 2016، ص 159.

[3]ولد محمدن (محمد)، المجتمع البيظاني في القرن التاسع عشر، قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط، 2001، ص 208.

[4]ولد محمدن (محمد)، المرجع السابق، ص 24.

مساحته ما مجموعه 500 كلم، ويصب في المحيط الأطلسي غربا، وهي جزء من ذلك المجال الشمالي العربي المسمى ب"الصحراء المغاربية"، وتمثل بالإضافة إلى أجزاء الجهات الصحراوية الأخرى المجاورة وموريتانيا جنوبا ما سماه الفرنسيون منذ القرن السابع عشر ب "بلاد البيظان"، الممتدة من وادنون شمالا الى نهر السينغال جنوبا ومن المحيط الاطلسي الى التخوم المالية وجنوب غرب الجزائر تمييزا لها عن بلاد السودان"[1].

وفي ظل التحولات المجتمعية التي عرفها العالم ومن ضمنها المجتمع الصحراوي، خاصة ما يتعلق بضرورة إدماج المرأة في العملية التنمية للمجتمع من خلال تقليدها وظائف ومناصف إدارية في مؤسسات الدولة، اعترافا لها بمجهوداتها القيمة ومدى قدرتها على المشاركة الفعلية في حيوية المجتمع وتطوره إلى جانب الرجل، تم نهج استراتيجيات قويمة من أجل تمكين المرأة من آليات وقدرات الفعل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي باعتبارها قادرة على إضافة قيمة نوعية في المجتمع، وهذا لن يتمكن إلا من خلال مقاربة التنمية حرية، أي محاولة تمتيعها بنوع من الحرية للتمكن من ممارسة أدوارها الطلائعية. فما هي الأدوار التي واضبت المرأة الصحراوية عليها منذ القدم؟ وما الأدوار الجديدة التي أصبحت المرأة الصحراوية تضطلع بها في ظل مغرب القرن الواحد والعشرين؟ وما آليات واستراتيجيات التنزيل الفعلي لهذه الأدوار؟ وما القيمة المضافة التي سجلتها المرأة في مختلف المجالات؟

1.الأدور والوظائف التقليدية للمرأة الصحراوية

- الأدوار الاجتماعية والاقتصادية

اشتهرت المرأة الصحراوية بمكانتها داخل المجتمع حيث احترمها الرجل وقدم لها الهدايا وأخذ برأيها في جل مشاريعه وانشغالاته، مما أهلها للنجاح في المهام التي أنيطت بها، ومن هذه المهام مهمة بناء عش الزوجية في الفيافي والقفار الصحراوية، من خلال إعداد الخيمة أو المسكن الذي ألفه أهل البادية لسهولة بنائه وطيه عند الرحيل، تبعا لظروف البدو التي كانت تسمح بوجود مسكن يتلاءم وظروف الترحال الدائم بحثا عن الكلاء والعشب للماشية. فهم البدو أهل الترحال الدائم لا يقر لهم

[1]ولد محمدن (محمد)، المرجع السابق، ص 24.

قرار، ولا يهدأ لهم بال، يبحثون دوما عن أماكن الانتجاع ونزول الغيث، فما إن يبني القوم (الفريك)[1] خيامهم في مكان ما حتى يسارعوا إلى طيها وحملها على ظهور البعير إلى أماكن أكثر انتجاعا ووفرة للماء والكلأ، هذا حالهم وديدنهم يجوبون أغلب المراعي، ويتوغلون في قلب الصحراء القاحلة، ويقطعون من أجل ذلك المسافات الطويلة. فميزة البدو أنهم "لا يعرفون الاستقرار، ولا يسكنون إلى الدعة والثبات، ولكنهم يعيشون في سفر دائم... لا يستقرون في مكان حتى تهزهم رياح الشوق إلى أماكن أخرى، فيشدون إليها الرحلة دون أن ينسوا ما كان يربطهم بالأماكن الأولى من ذكريات"[2].

هذه الخيمة التي كانت النساء الصحراويات تتولين إعدادها على مراحل عدة، من "جمع لشعر الماعز ووبر الإبل، كمرحلة أولى، ثم بعدها يتم تفكيك الشعر الأسود من الأحمر بضربه بعصى في الأرض، وتسمى هذه العملية "بالغرشلة". وبعدها تبدأ عملية غزل الشعر بمغزل وهو قضيب خشبي بطول ذراع،"3 وتكوين منه خيوط طويلة لتشكل الوحدة الأساسية للخيمة التي تدعى في الثقافة المحلية ب لفليج أو "الفلجة"، وهي بمثابة رداء سميك ومسطح عرضه أقل من متر حوالي 50 سنتيمترا، وطوله يمتد لبضع مترات بحسب طول الخيمة"[4]. ويتم تجميع "الفلجة" المحصل عليها بعضها ببعض بعد خياطتها بمخيط لتشكيل الخيمة. التي "تصبح في نهاية عملية جمع الشعر والغزل وخياطة الفلجة جاهزة لنصبها وشدها بحبال بين الأخراب والأوتاد، ووضع بداخلها ركيزتين تحملان الخيمة إلى الأعلى عن سطح الأرض، ثم عودان يسميان المسمك يكونا بمثابة أبواب للخيمة، فضلا عن لكفا وهو عبارة عن شريط من الشعر أو الوبر يوضع على جوانب الخيمة"[5].

وتنعت الخيمة الصحراوية في مدلولها الرمزي بالأسرة أو العائلة، فيقال خيمة أهل فلان بمعنى عائلة أو أسرة الشخص الفلاني، وكذا قولهم "مول الخيمة"، ومعناه صاحب البيت، وكذا "مولات

---

[1]أطلق هذا المصطلح على تجمع بشري في الخيام في موضع معين من الصحراء قد يصل إلى عشرات الخيام.

[2]الظريف محمد، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية 1800- 1956، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص 77.

[3]اركيبي (صلاح الدين)، الحرف التقليدية الحسانية: زمن البداوة والترحال، أعمال ندوة الصحراء جدلية الإنسان والمجال، أشغال الملتقى للفكر في الصحراء المغربية، بوجدور، منشورات جمعية الشعلة للتربية والثقافة، أيام 09-10 يناير 2013، ص 177.

[4]البوزيدي محمد، الخيمة في مجتمع الصحراء، موسوعة الصحراء، تنسيق محمد البوزيدي، ط1، دار القلم، الرباط، 2016، ص 232.

[5]اركيبي (صلاح الدين)، مرجع سابق، ص 172.

الخيمة" ومعناها سيدة البيت، كما يقال "الخيمة الكبيرة" و"الخيمة لكصيفة" للتمييز بين الأسرة الكريمة والأسرة البخيلة في المجتمع، و"تنعت "خيمة الرك" بخيمة الزواج التي تجهز للعريسين ليلة الدخلة، ونجد "خيمة العار" أي خيمة الضيوف، وخيمة الطالب أو الفقيه، فضلا عن خيمة "الصانع" الذي يقوم بتوفير الحاجيات المادية لأفراد المجتمع من صناعات ومنتوجات تقليدية[1]. كما أنها تدل في معناها الاصطلاحي ذلك المسكن الصحراوي المكون من وبر الإبل وشعر الأغنام، ويختلف حجمها حسب غنى الأسرة ومقدار ما تملكه من غنم وإبل ويتراوح طولها ما بين 12 إلى 15 مترا، وأصغرها ما بين 6 إلى 8 أمتار".[2]

وللإشارة فعملية إنتاج الخيمة أو المسكن الصحراوي الأصيل من طرف المرأة الصحراوية في شتى القبائل كان يتطلب وقتا طويلا قد يتجاوز ثلاثة أشهر في جو يسوده التعاون بين عدة نسوة، مما يوضح بعض أدوار التكافل والتعاون التي سادت المجتمع، فقد تولت المرأة الصحراوية الانفراد بهذا العمل عن الرجل. وبذلك تعد الخيمة النواة الأولى للمجتمع الصحراوي، فهي الفضاء والمسكن الذي يأوي المرأة الصحراوية ويحمي أبناءها من لهيب حرارة الشمس الحارة صيفا، ومن قساوة البرد شتاء، وهي الحضن والدفء الذي يسمح لسكان الصحراء بمواجهة التقلبات المناخية وظروف الطبيعة البدوية القاسية.

كما أنها المكان الأول الذي تحتك فيه المرأة بعالم التربية الأسرية من زواج وإنجاب للأبناء وإرضاعهم ورعايتهم، فمنذ الصباح الباكر تعمل المرأة الصحراوية على جمع حليب الماعز ومخضه واستخراج منه الزبدة وفصلها عن اللبن الطازج، وإعداد الخبز الطبيعي الذي يسمى خبزة الحفرة، وطهي الشاي بطرق تقليدية، وإيقاظ الأبناء وتقديم لهم وجبة الإفطار، لتتولى فيما بعد القيام بالأعمال الأخرى المرتبطة بشؤون الخيمة من نظافة وترتيب للأثاث وتصبين وخياطة وإعداد للطعام، فضلا عن الاهتمام بأنوثتها حتى تبدو جميلة في عين زوجها، وبنيتها مقبولة عند المجتمع الذي يفضل الجسد الممتلئ. ويعزى اهتمام المرأة الصحراوية بأنوثتها والعناية بمظهرها الخارجي إلى عشق الرجل الصحراوي للجسد الممتلئ، وذلك نتيجة لتربيته التي تتكفل بها المرأة وتنشئته الاجتماعية التي "تجعل

---

[1] أطويف المحجوب، الحرف اليدوية النسائية بالمجتمع الحساني: منطقة وادنون أنموذجا، مجلة وادي درعة، عدد 23، مطبعة شمس برنت، مدينة سلا، 2016، ص 45-46.

[2] البوزيدي محمد، الخيمة في مجتمع الصحراء، مرجع سابق، ص 229.

من المرأة الممتلئة هي الفاتنة والمحبوبة عند الزواج، فضلا عن أن الأمهات يساعدن بناتهن على الظهور بهذا المظهر الذي هو جزء من ثقافة المرأة الصحراوية حيث تعمل الأم على تسمين الفتاة وإظهارها بالمظهر الحسن"[1].

وهذه العملية تسمى "التبلاح" أو "لبلوح"، وتتم من خلال إتباع عدة وصفات طبيعية تساعد على نمو جسم المرأة، وهو ما أشار إليه الباحث كول أندريس coll Andres في حديثه عن هذه الظاهرة المرتبطة بتسمين الفتاة وإعدادها للزواج في سن مبكرة بقوله: "عندما يقترب وقت العرس يذهبون بالعروسة إلى المناطق الداخلية للصحراء، لقضاء ستة أشهر هناك لتسمينها عن طريق تناول لبن الناقة كغذاء أساسي حيث إنه من العار أن تزف إلى العريس وهي نحيفة"[2]. وعليه فثقافة الجسد الممتلئ عند المرأة الصحراوية يمكن أن ندرجه ضمن ثقافات نسائية مختلفة في العالم، وجزء من تنشئتها الاجتماعية وظروفها البيئية، فإذا كانت مجتمعات معينة تحب المرأة النحيفة وتنبذ السمنة، ومجتمعات أخرى تفضل المرأة السافرة المتبرجة المظهرة لمفاتنها، فذلك كله يدخل في الظروف المجتمعية التي وجدت بها المرأة وتداعيات العولمة الثقافية التي تجتاح المجتمعات الشرقية، فتساهم في التأثير على الثقافات الأصيلة للمجتمعات وإدخال عليها تغييرات وقيم جديدة، ومنه اهتمام اليوم عدد من نساء المجتمع الصحراوي بأجسادهن من خلال الابتعاد عن الأجساد الممتلئة التي مثلت جزءا من تنشئتها إلى تفضيل الرشاقة الجسدية التي تتماشى والتوجه الصحي العالمي الذي يحذر من أمراض السمنة ومخاطرها الصحية، فتحاول المرأة الصحراوية أن تبدو في جسد مقبول بين النحافة المفرطة والسمنة المضرة.

تمتهن المرأة الصحراوية عدة أدوار اقتصادية حيث تساهم في تطور المجتمع الصحراوي شأنها شأن الرجل، حيث إلى جانب تربية الأبناء، وصناعة الخيام، والقيام بشؤون البيت أو الخيمة من طهي للطعام وتنظيف للمكان ومساعدة الزوج على تربية الماشية والاستفادة من ألبانها واستخراج مشتقاتها ولا سيما السمن الطبيعي، وطحن الدقيق بالرحى الصخرية إلى غيرها من المهام التي تتولى

---

[1]باتا الحسين، صورة المرأة في مجتمع الصحراء، أعمال ندوة الصحراء جدلية الإنسان والمجال، أشغال الملتقى للفكر في الصحراء المغربية، منشورات جمعية الشعلة للتربية والثقافة، بوجدور، المغرب، يومي 09-10 يناير 2013، ص 193.

[2]دحمان محمد، الكتابات التاريخية الإسبانية حول منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب: قراءة سوسيوتاريخية، مجلة المناهل، العدد: 89-90، منشورات وزارة الثقافة، المغرب، 1 يونيو 2011، ص 70-71.

المرأة الصحراوية القيام بها بتفان وإحساس بالمسؤولية في تنمية المجتمع والرقي به ماديا وثقافيا، فقد أبدعت نساء الصحراء في ميدان الصناعة والفن والرقي به رغم بساطة الوسائل المستعملة وشظف العيش وقساوة الظروف الطبيعية، لم يثن ذلك عزيمة هؤلاء النسوة في إبراز قدراتهن ومهاراتهن الفنية في إنتاج صناعة محلية كان لها الفضل في صون تراث المنطقة وتوفير حاجيات ساكنتها من مواد طبيعية ومصنوعات جلدية.

ولعل المرأة الصحراوية أو "الصانعة" التي تنحدر من فئة الصناع التقليديين خير مثال عن جهود المرأة الصحراوية في مجال الصناعة التقليدية، حيث اهتمت بإعداد صناعات جلدية مرتبطة بمادة الجلد، ومنها نذكر "أصرمي وجمعه أصْرامَى وهي عبارة عن وسائد جلدية، يصل صولها إلى متر واحد وعرضها حوالي 40 سنتمتر، ولإعدادها تحتاج المرأة الصانعة ثلاثة جلود للماعز أحدها للجهة العلوية والأخر للجهة السفلية والثالث لصنع الأهداب"[1]، والأشكال الهندسية المرتبطة بهذه الوسادة الجلدية التي تدعى "أصرمي" فضلا عن صناعة لَمْرافكْ، وهو جمع مَرْفَكْ عبارة عن وسادة جلدية متوسطة الحجم مستديرة الشكل بها عدة ألوان وأشكال زخرفية. كما تعمل المرأة "الصانعة" على صناعة "تسوفرا" وهي "حقيبة الرجل التي يضع فيها ملابسه وأغراضه، ثم تغليف الكتب وزخرفتها بأشكال هندسية ورسوم وألوان جذابة"[2]، وتغليف الراحلة التي توضع فوق سنام الجمل، و"يتم هذا التغليف بالاعتماد على جلود الإبل لمساحتها الكبيرة، وإن لم تتوفر يتم تعويضها بجلود الماعز. فضلا عن تغليف السكاكين والقارورات الزجاجية وصناعة حوامل المفاتيح (الجماعات)"[3].

وللإشارة فصناعة هذه المنتوجات الجلدية، يحتاج إلى دقة ومهارة المرأة الصانعة التي تعتمد أدوات تقليدية بسيطة أهمها "سكين لإزالة الشعر عن الجلد، وموس لتقطيع الجلد إلى قطع صغيرة مختلفة الأحجام والأشكال يسمى "الكبظة"، إلى جانب أداة للخياطة تسمى المخيط، ثم أداة للغرز تدعى "اللَّشْفَة""[4] وقلم من الخشب رأسه حاد لاستعماله في وضع الأشكال الهندسية من خطوط وزخارف باعتماد أنواع متعددة من الصباغة الحمراء والخضراء والصفراء والسوداء والبنفسجية

---

[1] اركيبي (صلاح الدين)، مرجع سابق، ص 175.
[2] الحيسن ابراهيم، المشغولات الجلدية في الصحراء: الاثنوغرافيا الأيقونية وسلطة الرمز التشكيلي، أعمال ندوة الصحراء جدلية الإنسان والمجال، أشغال الملتقى للفكر في الصحراء المغربية، منشورات جمعية الشعلة للتربية والثقافة، بوجدور، أيام 09-10، يناير 2013، ص 152.
[3] الحيسن ابراهيم، المرجع السابق، ص 149.
[4] المحجوب أطويف، مرجع سابق، ص 44.

لتزيين هذه المنتوجات، ووضعها في حلة جديدة تبهر الناظر إليها وتكشف عن مهارة هؤلاء النسوة في مجال الصناعة اليدوية التقليدية. إلى جانب "صناعة الأحزمة التي تسمى "لكْشاطْ" بالنسبة لسراويل الرجل الفضفاضة، كما تتم صناعة البنسع وهو شريط جلدي على شكل عصا تسمى "الدبوس" يضعها الزوج في يده ليلة الدخلة وطيلة أيام الزفاف التي كانت تصل سبع أيام وليالي، وبها يدافع عن حريمه من الأجانب ويضرب بها كل من يتجرأ عليه من أهل العروس خلال طقوس العراك التي ترافق الزواج التقليدي"[1]. ويتم أيضا صناعة لجام الإبل الذي يسمى "لخْزامة" وهو "حبل جلدي يتم به قيادة الجمل أو الناقة، كما تتم صناعة الشكوة وهي عبارة عن جلد للماعز بعد دبغه يتم الاحتفاظ فيه باللبن على شكل وعاء تقليدي ووضعه بين ثلاثة أعمدة تسمى الحمَّارة، والقيام بعملية مخض اللبن بحركات منتظمة من خلالها يتم استخراج الزبدة من اللبن الطازج"[2].

وكذا صناعة القرب المائية من جلود الماعز دون دباغة الشعر الخارجي، ويتم فيها الاحتفاظ بالماء وتبريده في فصل الصيف الحار. ويتم تحويل جلد أضحية العيد إلى بساط يساهم في تزيين الخيمة وتأثيثها يدعى "ألويش، بعد دبغه ببعض الأعشاب خاصة الدباغ والعثمة والصلاحة، ثم نبتة "التمات" و"اجداري" إلى جانب صناعة الفرو وجمعها أفراء تمثل جزءا من أثاث الخيمة، وهي أغطية جلدية طويلة وعريضة تصنع من جلد الماعز طبيعتها لينة ومزركشة بصبغات كثيرة ويكسوها الشعر في إحدى جهتيها"[3]. وعليه، فهذا النوع من الحرف التقليدية من صناعات جلدية بامتياز هو من اختصاص النساء الصانعات، "فهو عملهم اليدوي الحكر عليهن، والمتمرسات فيه في أعمال الدباغة والخياطة، وتزيين جلود الماعز والأكباش والغزلان، وصناعة قرب تخزين الماء والحليب والزبدة والتمور، وتشكيل الأغطية من جلود الماعز المخاطة بأشرطة جلدية حمراء مطرزة بخيوط رقيقة وصفراء، ونسج الحصائر من قصب السمار المربوط بالحبال"[4].

---

[1] الحيسن ابراهيم، المرجع السابق، ص 152.
[2] اركيبي (صلاح الدين)، مرجع سابق، ص 172.
[3] الحيسن ابراهيم، مرجع سابق، ص 149.
[4] اركيبي (صلاح الدين)، مرجع سابق، ص 173.

فالصانعة تهتم أيضا بتزيين العرائس من خلال وضع الحناء لهن والظفائر[1] والحلي، وليس لها أجر محدد بل "يتم مكافأتها ببعض الهدايا التي تختلف من عائلة لأخرى حسب وضعها المادي، قد تكون ملابس أو أغطية أو مواد غذائية"[2]، تقديرا لمكانتها ودورها الريادي في المجتمع، "فهذا الإنتاج التقليدي شكل على امتداد تاريخه الإبداعي المتواصل في الزمان والمكان أنماطا وصنوفا فنية وتقاليد عملية حرفية ووحدات تعبيرية...، الرامية إلى تأصيل الأشكال التراثية وحمايتها من الضياع والاندثار"[3].

اهتمت المرأة الصحراوية بصناعة وصفات طبية من خلال جمع الأعشاب الطبية وتكوين صيدلية تقليدية بخيمتها تقدم من خلالها الوصفات العلاجية للمرضى سواء كانوا من عائلتها أو من أبناء جيرانها في الخيم المجاورة التي تسمى لفريك، فالبيئة الصحراوية القاسية وشظف العيش والبعد عن مراكز الحضارة وقلة الدواء الحديث وندرته في العقود الماضية، جعلت الإنسان الصحراوي يتكيف مع ظروفه البيئية، حيث اهتمت النساء بجمع الأعشاب وحفظها من الضياع والعناية بها بعد تنظيفها وتنقيتها من التراب وحفظها في أكياس صغيرة، واستعمالها كلما دعت الضرورة إلى ذلك، في علاج الأمراض الجلدية وأمراض الأمعاء وأمراض الرأس، ثم أمراض الحمى ونزلات البرد والزكام، وأمراض الجهاز الهضمي، وآلام المفاصل والظهر، ثم أمراض الجروح، والإعاقات البدنية، وأمراض النحافة، وأمراض البواسير، وأمراض التوتر والضغط النفسي، والإرهاق البدني...، ثم أمراض تتعرض لها الماشية مثل مرض الرهصة، وهو عبارة آلام في باطن القدم عند الإبل، ثم أمراض الجذام والجرب، وهي أمراض جلدية تصيب كافة الحيوانات الأليفة، ثم مرض الجذري، ومرض الكطعان بسبب نزلات برد وغيرها من الأمراض المعروفة عند أهل الصحراء.

كما اهتمت بمظاهر الزينة من استعمال لصناعة خلطات طبيعية تحافظ على جمالهن، مثل استعمال الحناء والعطور الطبيعية، واعتماد وصفات طبيعية لغسل شعر الرأس ودهنه ومنها استعمال "القرنفل" و"لخواض" وهي بمثابة الغسول الطبيعي الخالي من المواد الكيماوية والذي ينظف فروة الرأس من بعض الطفيليات ويساعد على متانة وجمال الشعر عند النساء، فضلا عن

---

[1] جمع ظفيرة، وهي طريقة تتزين بها المرأة وهي سوداء اللون تصنع من الشعر المستورد عبر القوافل التجارية من بلدان جنوب الصحراء، وتستعمل في تزيينها أحجار كريمة كالصدغ وأمجون وغيرها من أنواع الأحجار المعتمدة في تزيين الظفيرة، أنظر محمد البوزيدي، معلمة المغرب، منشورات دار الأمان، ط1، 1435هـ/ 2014م، الرباط، العدد 26، ملحق الجزء الرابع، ص 444.

[2] أطويف المحجوب، مرجع سابق، ص 43.

[3] الحيسن ابراهيم، مرجع سابق، ص 146.

بعض الوصفات الشعبية التي تساعد على الحفاظ على جمال البشرة واللثة والأسنان، كاستعمال السواك الخاص بالنساء. إلى جانب اهتمام المرأة الصحراوية بالطيب من خلال اللجوء للبخور لتزيين رائحة الخيمة واختيار أجود الملابس التقليدية التي تقيها حر الصيف وبرودة الشتاء، وتساهم في جمالها لاسيما اللحاف المصنوع من النيلة. واعتماد بعض القلائد التقليدية مثل "صرع" وهو عبارة عن قلادة مكونة من حبات الأحجار الكريمة التي كانت مشهورة آنذاك، إلى جانب وضع حلي في اليدين والرجلين من الفضة مثل الأساور التي توضع في اليدين، وكذا لخواتم في الأصابع، فضلا عن لخلاخل وهي أساور غليظة توضع في الأرجل عند الكعبين تساهم في إثقال مشية المرأة، وجعلها تمشي ببطء مما يساهم في إبراز أنوثتها وجمالها.

وفي العقود الحديثة تطورت وصفات الجمال عند المرأة الصحراوية إذ شملت وصفات طبيعية تقليدية موروثة عن الأجداد، إلى جانب مساحيق عصرية وعطور تباع في الصيدليات ومحلات التجميل، فضلا عن تنوع كبير في الحلي وجودته سواء منه ما كان مصنوعا من الفضة أو الذهب، إلى جانب اهتمام المرأة الصحراوية بالقيام بنشاطات رياضية حفاظا على أنوثتها ومظهرها في إطار العولمة التي تؤكد فيها الجمعيات النسائية في العالم على الاعتناء برشاقة الجسم، واتباع حمية صارمة فضلا عن ممارسة الأنشطة الرياضية فردية كانت أو جماعية.

- الأدوار التربوية والثقافية والسياسية

تهتم المرأة الصحراوية منذ زواجها برعاية زوجها وخدمة أهله واحترامهم، وتستحضر وصايا أمها بضرورة أن تتحلى بالأخلاق الفاضلة وأن تكون عند حسن ظن زوجها وعائلته من تمثل للقيم النبيلة والتحلي بالصبر في مكابدة مشاق الحياة، حيث تبدأ المرآة التكيف مع واقع جديد في بيت زوجها، وتتعرف على حياة جديدة عنها وتساهم في بناء أسرتها وتتولى تربية أبنائها وتعليمهن. فأول من يتكلف بهذه المهمة في المجتمع الصحراوي هن النساء، بحكم ما يتمتعن به من عطف وحنان وتوجيه لين يساعد الأطفال في سن مبكرة على التهجي وتعلم الحروف الأبجدية. وتدريس القرآن للأطفال في سن مبكرة إلى جانب حروف الهجاء، بدليل ما جاء به صاحب الوسيط في قوله:" إذا بلغ الصبي خمس سنين يمتحنونه، بأن يعلموه من الواحد إلى العشرة، فإن تابعها من غير تقديم ولا تأخير، يعلموا أنه

صار ينجح تعليمه...، وأكثر من يتولى تعليمه إذ ذاك النساء"[1]. ذلك أن التعليم في المحاضر البدوية يمر عبر عدة مراحل: "ففي البداية تبدأ سن التهَجِي وهي السن الخامسة من عمر الصبي، حيث تقوم بهذه العملية عادة النساء فيتم اختبار الطفل في إدراكه وتمييزه وذلك عن طريق العد، إذ يكررون له التعداد من الواحد إلى العدد عشرة، فإن تابعها من غير تعثر علَّموه الحروف، ثم بعد ذلك الشكل وتدريسه جزءا من حزب سبح"[2].

وشمل التعليم الفتيات إلى جانب الفتيان، مما انعكس بشكل إيجابي على مستقبلهن حتى تضلعن في العلوم، وظهرت فيهن عالمات جليلات مثل "خديجة بنت العاقل، التي كانت تدير محضرة تخرج منها علماء أجلاء كأخيها أحمد بن العاقل والشيخ المختار بن بونه، والإمام عبد القادر إمام فوته، وكانت فتيات تنيكي تحفظن الموطأ عن ظهر قلب، وبلغت منُة بنت أحمد مرتبة القضاء، ومنهن أيضا صفية بنت المختار، وكانت عالمة بالتجويد والتفسير والسيرة وغيرها من نساء البيضان"[3].

وكما امتاز الرجال بالعلم وتدريسه في المحاضر البدوية، فالنساء شاركن بدورهن في مهنة العلم والتعلم مثل اخناثة بنت بكار المغفرية (1159هـ- 1746م زوجة السلطان المولى إسماعيل، التي كانت من النساء العالمات اللواتي أشاد محمد بن أحمد أكنسوس بمكانتها العلمية بقوله: "وهذه السيدة هي أم السلاطين أعزهم الله، وكانت صالحة عابدة عالمة حصلت العلوم في كفالة والدها الشيخ بكار، وقد رأيت خطها على هامش الإصابة لإبن حجر، وعرف به من عرفه وقال هذا خط السيدة خناثة أم السلطان مولانا عبد الله بلا شك"[4]. ومنهن أيضا "زوجة الشيخ محمد الحافظ، وهي فاطمة بنت العالم سيدي عبد الله، التي أخذت ورد الطريقة التجانية على زوجها محمد الحافظ ولازمته، وكانت

---

[1]بن الأمين الشنقيطي (أحمد)، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، بعناية فؤاد سيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء، ط2، 1958، ص 517.

[2]بن المختار بن الأعمش (سيدي محمد)، نوازل سيدي محمد بن المختار بن الأعمش، تحقيق: محمد بن الأمين بن الشيخ محمد الحافظ، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، شعبة الدراسات الإسلامية، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكدال- الرباط، السنة الجامعية 1995- 1996، ص231.

[3]النحوي الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني، من خلال الجامعات البدوية (المحاضر)، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، 1987، ص 289.

[4]بن أحمد أكنسوس (محمد)، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا السجلماسي، تقديم وتحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1994، ص 173.

لها علوم كثيرة وشأن في التصوف والعبادة، وتوفيت رحمها الله عام 1261هـ"[1]. ومنهن "امنيانه بنت محمد فال، وهي أمُّ الشاعر الشهير امحمد بن أحمد يوره"[2]، ثم والدة الشيخ ماء العينين، "السيدة منينة بنت المعلوم بن سيدي، كانت فقيهة حافظة لكتاب الله العزيز، وكان لها دور مهم في توجيه السلوك الديني لابنها الشيخ ماء العينين حين أشارت عليه بملازمة والده والأخذ عنه"[3]، وكذا والدة العالم التجاني بن باب العلوي، وهي "خديجة بنت المختار بن عثمان، ثم ميمونة بنت الشيخ محمد الحضرمي، كانت شاعرة وعالمة مشاركة"[4]، ومنهن العالمة بتاي السباعية خريجة مدرسة سيدي محمد دليل[5]، وتوجهت إلى قبيلة عبدة في إحدى سنوات القحط واشتهرت كعالمة، "فعلم بها القائد عيسى بن عمر، فأحضرها لداره وعقد مجلسا للفقهاء لمناظرتها، وكانت أن تغلبت عليهم ومن ثم ألحقها بقصره لتعليم أولاده ونسائه"[6].

واشتهرت أسرة الشيخ ماء العينين بوجود نساء عالمات بصمن بصمات جليلة في ميدان العلم والتصوف والزهد، فقد ذكر الباحث ماء العينين النعمة علي[7] عددا من بنات الشيخ ماء العينين اللواتي اشتهرن بمكانتهن العلمية، حيث سجل التاريخ أعمالهن العلمية بمداد من ذهب، وهن "أمنة الشفاء، وماء العينين الأديبة، وأم الخير، وأم الفضل، وماء العينين الأمينة، وتربان، وخديجتن وربيعة، وسعاد، وسعدان، والسيدم، والعالية، وطول تفاك التي أسست في آخر حياتها زاوية بمدينة

---

[1]محمد بيب (محمد الأمين)، فتاوى العلامة سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم ومعها نظم كل من الشيخين الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ والشيخ محمد العاقب بن مايابى للفتاوى المذكورة، ط1، 1422هـ/ 2002م، ص ص32- 33.

[2]بن محمذن بن حجاب (بابكر)، منظومة ابن حجاب في تاريخ إمارة الترارزة (1185-1314هـ/ 1771-1896م)، تحقيق وتعليق: خديجة بنت الحسن، بيت الحكمة، قرطاج، وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للجمهورية التونسية، د.ت، ص 82.

[3]بن الشيخ ماميا آل الشيخ ماء العينين (الطالب أخيار)، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي، ج1، مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، مطبعة بني يزناسن، مدينة سلا، ط1، 2005، ص 22.

[4]الجراري عباس، ثقافة الصحراء، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1978، ص 29.

[5]هو الشيخ البركة العالم المتصوف سيدي محمد دليل من أولاد البكار، تخرج على يد الفقيه محمد الهلالي الأرغي صاحب المدرسة النحلية بأمزوضة، توفي عام 1277هـ/ 1860م، ه 02، ص 152.

[6]بن بكار السباعي (صالح)، الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع، مطبوعات الرابطة العالمية للشرفاء السباعيين، مطبعة وراقة داكار، ط2، الرباط، 2005، ص 152.

[7]النعمة علي (ماء العينين)، معلمة المغرب، ج4، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1، 2014، ص ص 576-588.

طان طان، وكانت تجيز المريدين وطلاب العلم، وتوفيت بتيزنيت ثنة 1400هـ/ 1980م"[1]. وتعد الرفْعَ بنت الشيخ ماء العينين من بين العالمات الصحراويات من بنات الشيخ ماء العينين، ولدت عام 1897م، وتوفيت عام 1987م، درست على والدها وأخذت عليه الطريقة، حيث "كانت من أحسن نساء زمانها يقينا ومروءة فاضلة...، أسهمت بدور كبير في ازدهار الحركة الأدبية والفكرية والدينية كما عرفت بفتاواها الفقهية المتعددة في مجال الأحكام...، مما يبين أهمية المرأة الصحراوية ودورها في النهضة العلمية والأدبية"[2].

كما تعتبر كل من السيدة "مريم الطاهرة، ومنَّ ماء العينين، وميمونتن، والسيدة يحانيذو"[3] من بين العالمات الجليلات من بنات الشيخ ماء العينين، ممن سعين إلى إبراز مكانتهن في الميدان العلمي والروحي، مستفيدات من المكانة العلمية التي ميزت محضرة والدهم الشيخ ماء العينين، وقد اشتهرت العالمة يحانيذو بنت الشيخ ماء العينين المزدادة عام 1304هـ/1886م، بقراءة القرآن وحفظه وحصولها على إجازة في العلوم من والدها، "وكانت عابدة زاهدة وولية كاملة وعالمة...، لم تزل في قرية أيت الرخا التي تقع جنوب مدينة تيزنيت والتي أنشأت بها زاوية دينية وعلمية فأعانها الله في السير فيها بسيرة أبيها بإقامة الدين وكثرة الإنفاق". وتوفيت يومه الجمعة بأيت رخا بضواحي تيزنيت، عام 1388هـ/1969".[4]

بجانب الأدوار العلمية والتربوية التي برعت فيها المرأة الصحراوية وأبانت من خلالها عن مقدرتها على التعلم والتدريس وإعداد جيل من الطلبة والعلماء، فقد شاركت أيضا إلى جانب الرجل في بعض الفنون الفلكلورية الشعبية المشهورة في البوادي، مثل رقصة الكدرة بمناطق وادي نون نموذجا، حيث "يتحلق الشبان حول آلة موسيقية في حلقة دائرية ويقوم أحدهم بالضرب على الطبل بأغصان رقيقة، وتدخل امرأة وسط المجموعة تقوم بالرقص على أنغام وإيقاع الطبل (الكدرة)، ويردد أفراد المجموعة مقاطع شعرية تستحضر فيها كثيرا مكانة المرأة بذكر محاسنها والتغزل بها في إيقاعات موسيقية من قبيل: الزَّيْن مَنْ جابو *** جابو الصَّيادا، ومعناه أن الجمال أتى به المهرة العارفون به، ثم قولهم: واها وَيْلْ النكَارْ *** إلى جاتْ افْطَيمَة لغزال، ومعناه ويل للشخص الذي ينقر على الطبل

---

[1] النعمة علي (ماء العينين)، المرجع السابق، ص 588.
[2] النعمة علي (ماء العينين)، المرجع السابق، ص 583.
[3] النعمة علي (ماء العينين)، المرجع السابق، ص ص 613-616.
[4] النعمة علي (ماء العينين)، المرجع السابق، ص 616.

إذا دخلت افْطيْمَة والتي تشبه الغزال لجمالها الصارخ، وكذا قولهم: واها النكْرَة زينة *** ألاَ ركْصي يا سكينة، بمعنى هذا عزف رائع فارقصي ياسكينة"[1]

كما أبدعت المرأة في ميدان الشعر الحساني النسائي الذي يدعى عند أهل الصحراء ب "التبراع" الذي تعتبره الباحثة المغربية "العالية ماء العينين" قصيدة مكثفة المعاني، غامضة الدلالات، موزونة القافية، تتستر خلفها المرأة الصحراوية، لتفصح عن ما يعتمل خاطرها من أحاسيس، وما يؤرق وعيها من قضايا، في أحايين كثيرة لا يتجاوز بعضها حدود اهتمام قبيلتها وعشيرتها، ويتمثل ذلك من خلال إفصاح الفتاة الصحراوية عن عواطفها، حيث تنزوي مع قريناتها وبنات قبيلتها في أمكنة بعيدا عن أعين الناظرين، ومسامع المتطفلين، لتنْبَرين إلى نظم الأشعار وتتنافسن في مدح المحبوب، البعيد الغائب، وتعداد شمائله وخصاله، في سهرات سمر قد تمتد لساعات متواصلة. دون أن تنزعن عنهن طابع المحافظة والالتزام الذي يُميز المجتمعات الصحراوية. وعليه فالمرأة الصحراوية لم تنعزل عن المجتمع ولم تعش على هامشه، وإنما انخرطت بشكل كبير في جل قضاياه التربوية والتعليمية والثقافية، وشكلت بذلك عنصرا لا محيد عن حضوره وأخذ رأيه، بل لا مناص من استحضار توجهاتها ونصائحها واستشعار مكانتها في حياة المجتمع الذي يوليها مكانة ويحترم قراراتها ويفتخر بمشاركتها في تقدم هذا تطور هذا المجتمع ورقيه، فقد تعرفت المرأة الصحراوية شأنها شأن الرجل على القضايا السياسية في فترة مبكرة، حيث انخرطت في مقاومة المستعمر الأوربي إلى جانب الرجل، من خلال مساندتها للمقاومين بدعمهم وتوفير لهم ما يلزم من الطعام وملء قربهم بالماء وأمتعتهم بما يحتاجون إليه من طعام ومؤن، خلال المعارك التي خاضها المقاومون وأعضاء جيش التحرير ضد العدو الإسباني والفرنسي.

فضلا عن دورها الريادي في دعم المناضلين نفسيا ومعنويا بتشجيعهم وبث فيهم روح المقاومة لتحرير المناطق الصحراوية من الاستعمار الأوربي. وبعد استقلال المغرب وبناء الدولة الحديثة واستكمال الوحدة الترابية، انخرطت المرأة في العمل السياسي الحزبي والجمعوي وأسست التعاونيات وشغلت مناصب سياسية سامية في قبة البرلمان ومختلف الإدارات والوزارات وغيرها من المسؤوليات

[1] باتا الحسين، لمحات عن تاريخ أولاد بوعشرة، إعلاميات مطبعة ملك سطات، ط1، 2010، ص 55-56.

السياسية، فشاركت بذلك مشاركة فعالة في الحياة السياسية المغربية، وأبانت عن قدرتها على إدارة الأمور التي تسند إليها في تفان في جل المسؤوليات.

2. المرأة الصحراوية في ضل التحولات المجتمعية والثقافية:

أصبحنا نلاحظ تطورا ملموسا في تمدرس الإناث يصل إلى حد منافسة الذكور، ولعوامل التربية ووسائل الإعلام والعمل المأجور والاحتكاك بالوافدين على المجتمع المحلي دورا هاما في ذلك التحول الذي انعكس على مكانة المرأة بصفة عامة منذ السبعينات من هذا القرن وإلى اليوم، ذلك أنه: "أينما وجدت سياسة يد عاملة وحركة تحضر يوجد خلل عددي ملحوظ بين الجنسين، فيحصل هناك اتجاه إيجابي في مكانة المرأة على الرغم من تعدد العلاقات الممأسسة الموجودة داخل إطار المجتمع التقليدي"[1] ولم تعد البنت تتربى في أحضان الأم فقط، وتقوم هذه الأم بعملية "تسمين" (لبلوح) مثلا، لأن السمنة في الصحراء تعبير عن الرفاه وعن المكانة الاجتماعية للنساء، حيث يعبرون عن ذلك بقولهم الشعبي: "كلمت لمر كد كعدتها "[2].

كما لم تعد ترتدي "دراعة" سوداء أو زرقاء بل صارت يتقاسم معها تلك التربية المسيد (لمحضرة) والفضاء العمومي والمدرسة والجامعة وجماعة الأقران والإعلام (الميديا) اليوم، بل لم تعد هناك قيم "الحشمة" واحترام بعض السلوكات من قبيل جلوس الفتاة مع والدها أو الكلام معه أو مع من يكبرها سنا من الرجال، في ضل التطور الذي حصل في التغير الاجتماعي من داخل المجتمع الصحراوي، لا يخفي أن المرأة أصبحت تلعب دورا هاما من داخل المجتمع على جميع الأصعدة، نجدها في التطبيب والهندسة والتعليم العالي والقيادة السياسية، واستطاعت أن تخترق بعض القطاعات التي كانت حكرا علي الرجال كالسياقة في المجال البحري والجوي.. والاشتغال بمؤسسات كان من الصعب الولوج إليها في السابق كالإدارة السجنية والخروج للعمل في مشاريع خاصة ذات طابع سياحي يعرف بتراث المنطقة، وهو ما عكس صورة ايجابية للرأي العام المحلي والوطني والدولي بخصوص الأدوار الطلائعية المتميزة التي ساهمت في دور المرأة الصحراوية لتتبوأ المكانة الاستراتيجية للنهوض بمقاربة النوع لاجتماعي بالصحراء.

---

[1]Balandier G, Sociologie actuelle e l'afrique noire, presses universitaires de france. Paris, 1963, P: 493.

[2]الحيسن ابراهيم، لبلوح أو شعيرة التسمين، مجلة ثقافة الصحراء، العدد04، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2015، ص 33.

بالإضافة إلى وجود بعض العوامل التي تساهم في تحديد وضعية المرأة الصحراوية من منطلق المقاربة الكلاسيكية، كعامل المكانة الاجتماعية للعائلة وتموضع المرأة في نسق دورة الحياة سواء متزوجة، مطلقة، عازبة، أرملة.. لكن مع هذا لم يعد واردا اليوم في ضل التحولات الآنية التي نعيشها. أصبحت في سباق مع الزمن لتحقيق طموحها الذي رسمته من أجل تحقيق دلك وبناء مستقبل مشرق يضمن لها حياة كريمة.

وعلي الرغم من تعدد وتنوع وسائل وآليات الاشتغال لدى المرأة بالجنوب المغربي، من أجل الحصول على المكانة اللائقة داخل المجتمع الصحراوي، تبقي دوما في صراع مع الزمن للتصدي لشتي اشكال التهميش والإقصاء التي تعمل على إسكات صوت المرأة الفاعلة وفرملة عملها الدؤوب من داخل المساهمة في الأدوار الاستراتيجية سواء على المستوي السياسي والثقافي والاجتماعي والديني والاقتصادي.. للحفاظ على الموروث القيمي للمرأة الصحراوية، وهو ما يعتبره "كلود ليفي ستروس (Claude levi Strauss): "النساء معتبرات كقيم"[1].

وإن كانت المرأة البدوية بالصحراء تقوم بأعمال ذات نشاط فاعل في تربية النشء، وفي حماية الأسرة بتوفير الغداء والعلاج ومساعدة الرجال لخلق منتجين جدد يساهمون في إعادة الإنتاج الاجتماعي والبيولوجي للمكون القبلي. ففي ضل اقتصاد السوق، استطاعت أن تخرج إلى ميادين العمل المختلفة رغم أن خروجها كانت تطبعه في البداية الريبة والحذر وحتى "العار" أحيانا، نظرا إلى أن التصور التقليدي السائد حول المرأة بالمجتمع الصحراوي يمنع عليها العمل خارج البيت وزوجها وأبوها أو من يعيلها موجود على قيد الحياة، لكن نتيجة الضغوط الاقتصادية والتحولات في ميدان التعلم والأسرة جعل من خروجها للعمل وممارسة السياسة كالترشح في الانتخابات مثلا معطى مقبول ولو على مضض أحيانا.

هناك مجالات أخري كان للمرأة فيها حضورا فعالا، خاصة مجال الدراسة والتحصيل العلمي والتدريس والتدوين وحفظ القران والمتون ومحاورة العلماء والفقهاء، وفي هدا الإطار عرفت منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب طيلة القرن التاسع عشر الميلادي والنصف الأول من القرن العشرين مجموعه من النساء الحافظات المدرسات مثل: لآلة النايرة بنت الشيكر السباعية (زوجة العلامة

[1]Strauss Claude (levi), Les structures élémentaires de la parenté, mouton et co, Paris, 1967, p : 527.

القاضي الشيخ ولد حامني)، كانت فقيهة وعالمة بالأصول والفروع، وكانت تجادل زوجها في الأحكام الشرعية وأمهات الكتب، وهناك الحافظة حبيبة بنت سيدي علي المساوية الركيبية، والفقيهة الخطاطة فاطمة بنت الحاج البشير ولد عبد الحي البربوشي، وأم المؤمنين بنت المامي السباعية: كانت صاحبة محضرة (ت 1920م)، والأستاذة فاطمة و بنت محمد الأمين بن أبا حازم الجكني نسبة لقبيلة تجكانت التي أنجبت العديد من العلماء والمشايخ، والتي كانت فقيهة في العلوم الشرعية من جملة المجاهدين الذين أقاموا بجبل كردوس بسوس أيام تولي الشيخ مربيه ربه بن ماء العينين قيادة حركة المقاومة بالجنوب المغربي.

3. المرأة والمشاركة السياسية بالصحراء

في الوقت الذي اهتمت الأحزاب السياسية العربية في برامجها السياسية والمطلبية بقضية المرأة، ولكنها اختلفت بعد ذلك "في الحجم الذي يعطي للموضوع في البرنامج العام للأحزاب. وفي الاطر الفكرية التي تنبثق عنها تصوراتها ومواقفها من القضية"[1]. وموضوع المرأة والتمثيل السياسي في المغرب هو ظاهرة تتلخص عموما في بعد المرأة عن مراكز القرار في الدولة، حيث تتناقص أهميتها ووزنها في المجتمع المدني مع عزلتها عن المجتمع السياسي وتبدو لنا في نهاية المطاف مواطنة في الحياة السياسية لازالت متدنية، وظلت مشاركتها في الحياة السياسية وممارستها لحقوقها السياسية مختزلة في ممارسة حق التصويت. كما أن حضور الأحزاب السياسية في الصحراء باهت ويحتاج إلى قراءة معينة، ولاسيما من حيث ما هو ثقافي للصحراء، ذلك أن واقع البنية الصحراوية تقوم على المشهد القبلي، وهذه المنظومة تحكمها كذلك بنية نسقيه متكاملة، فيها الاجتماعي والسياسي لمفهوم الاشتغال اليومي، وفيها المنظور المستقبلي في علاقة القبيلة بما يجاورها مع القبائل الأخرى، وهو طابع غالب على التأطير السياسي للمشهد الحزبي في الصحراء، ذلك أن مفهوم الذهنية البدوية الرعوية لا زالت حاضرة بحيث نجد أن الكثير من القبائل استوعبت وامتصت المفهوم السياسي للحزب دون أن يستوعبها هذا الحزب، من أجل الوصول إلى مجموعة من المنافع والامتيازات والحضور السياسي.

[1]برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام 2005 نحو النهوض بالمرأة في الوطن العربي، المكتب الإقليمي للدول العربية، المطبعة الوطنية، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2006، ص 190.

أن يؤطر الحزب السياسي القناعات، ويوجه المستويات، ويبني الحضور السياسي الوازن والفاعل في القبيلة أو في المؤسسة الاجتماعية، فهذا غائب، حيث نجد أن مثلا "أن جزب الحركة الشعبية عند قبيلة معينة أو عند فصيل من قبيلة معينة، وحزب الأحرار عند قبيلة معينة وحزب الأصالة والمعاصرة عند قبيلة معينة، بحيث تظل الممارسات الشعبية التقليدية السائدة محافظة على توازنها دون أن يكون لها أثر إيجابي للمنظور السياسي الحزبي في هذه البنية، إذ حتى النخب الجديدة التي تكونت في بعض الجامعات، لازالت هي نفسها أسيرة المنظور التقليدي للتعاطي للشأن السياسي الحزبي من منظور قبلي وليس من منظور شمولي حزبي تطغى عليه القناعة السياسية التي تؤظر المرجعية السياسية بصفة عامة"[1]. لأن "التقسيمات والانتماءات القبلية وإدارة الشأن العام في الأقاليم الجنوبية تقوم على أساس البنية القبلية الموجودة، فهي أساس وجود تمايزات واختلافات بين المواطنين المغاربة هناك... تلك البنية القبلية تؤثر في المجتمع المغربي بكامله. وليس فقط في الأقاليم الجنوبية،... الدولة كرست تلك الفوارق بين المواطنين من خلال سياساتها التي اعتمدت فيها الأعيان، الذين ثبت عدم جدواهم، وعدم امتلاكهم لتمثيلية حقيقية، ولذلك بسبب سياسة الريع التي أدخلت الدولة في مساومات وابتزازات مع بعض الأطراف، وبالتالي ضرورة تكريس قيم المواطنة والمساواة بين المواطنين جميعا، مع تعميق سياسية اجتماعية عادلة"[2].

أصبحت المرأة الصحراوية اليوم ممثلة في مجلس النواب وبكثافة تفوق مستوى الأقاليم الأخرى، وكذا بالمجالس الجماعية والغرف المهنية، وحاضرة كذلك في الأجهزة القيادية للأحزاب السياسية، وهي أي المرأة الصحراوية "تناضل باستمرار من أجل الدفاع عن القضية الوطنية ومن أجل تقدم البلاد وازدهارها في إطار المشروع المجتمعي الديمقراطي الحداثي، وهنا لا يجب أن ننسى الدور الكبير الذي تقوم به المرأة الصحراوية بالمهجر والقيمة المضافة للبرلمانيات الصحراويات داخل مجلس النواب"[3]. ولقد حققت المرأة المغربية الصحراوية عدة مكتسبات خلال السنوات الأخيرة، وهذه تستفيد منها المرأة الصحراوية اليوم كما هو الشأن في مختلف المناطق والأقاليم، و"هناك نضال

---

[1] الهموني إسماعيل، ظهور الأحزاب السياسية في الصحراء باهت، جريدة الصحراء الأسبوعية، العدد 115، من 21 إلى 27 فبراير 2011، ص 13.

[2] العطري عبد الرحيم، المساواة الاجتماعية هي أساس المواطنة الحقيقية، جريدة الصحراء الأسبوعية، العدد 112، من 31 إلى 6 فبراير 2011.

[3] زهرة شكاف، النظام الجزائري يسعي لإطالة أمد الصراع للتغطية على أزمته الداخلية، جريدة الصحراء الأسبوعية، العدد 110، من 17 إلى 23 يناير 2011، ص 16.

مشترك للنساء ببلادنا من أجل تحقيق المزيد من الإصلاحات في أفق بلوغ المساواة الفعلية بين الجنسين، وتفعيل مقاربة النوع في كل البرامج والمشاريع، والرفع من تمثيلية المرأة في المؤسسات المنتخبة ومراكز القرار"[1].

ولعل الدستور الجديد للملكة المغربية لسنة 2011، والقوانين والتدابير المتخذة في السنوات الأخيرة قد ساهمت في ارتفاع حجم وثيرة المشاركة السياسية للنساء، لكنه ارتفاع غير كاف للوصول إلى المناصفة بسبب استمرار مفاعيل العديد من العقبات، كعدم تجانس فئة النساء حيث أنهن لا يشكلن شريحة اجتماعية موحدة سواء على الصعيد السوسيولوجي أو الأيديولوجي، فإيديولوجيا نجدهن منقسمات حسب التوجهات السياسية المتواجدة في الساحة، حيث إن أغلبية النساء مناصرات للتيارات المحافظة بينما يبقى الانتماء إلى اليسار ضعيفا من الناحية العددية، لكنه مؤثر من الناحية الكيفية، حيث أن أغلب المكتسبات التي حققتها المرأة المغربية في مجال الحقوق والمساواة وعدم التميز والمشاركة كانت نتاجا لاستجابة الدولة لمطالب الهيئات المدنية والتنظيمات النسائية اليسارية وسوسيولوجية تظل الأغلبية العامة من النساء غير معنية بقضايا المشاركة منعزلة خاصة القروية، الأمر الذي يزيد من عمق الإقصاء والهامشية ومعاناتهن المزدوجة من ثقل التقاليد الأبوية واستفحال مظاهر الأمية والفقر وضعف مستويات التمدرس.

4.القيادة النسائية والتنمية بالصحراء: الساقية الحمراء ووادي الذهب نموذجا

ظهر مفهوم "التنمية" بداية في علم الاقتصاد حيث استخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في مجتمع معين، يهدف إلى إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده، ويعرفها محمد محمود الجوهري: بأنها "عملية تنطوي على توسيع حاسم في كل مجالات القدرات الإنسانية، والنشاط الإنساني، المجالات الروحية، الفكرية، التكنولوجية، الاقتصادية والمادية (...) ولا يجوز أن نقصرها مطلقا على النمو الاقتصادي، وإنما يجب أن تشمل كذلك وبشكل جوهري على تغير ثقافي عام وكذلك على تغيرات محددة في البناء الاجتماعي القائم"[2]، وعرفها جيرهارد كولم و تيودور جايجر أنها

[1] زهرة شكاف، نفسه، ص 16.
[2] الجوهري محمد (محمود)، علم اجتماع التنمية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009، ص 140.

ليست سوى "عملية اجتماعية تستهدف تحقيق نتائج معينة يمكن وصفها وقياسها باستخدام المفاهيم الاقتصادية"[1] هدا من جهة، ومن جهة ثانية، نري أن "المرأة والشباب هما الأكثر إحساسا بالثقافة الجديدة"[2].

وفي إطار اشتراك النخبة الشابة كان الولاة المتعاقبون على تدبير أمور الجهة–الساقية الحمراء ووادي الذهب– قد اختاروا التعامل مع النخب التقليدية، غير أن التجربة أكدت فشل تلك المقاربة، وأن "الرهان الحقيقي صار يرتكز أساسا على ضرورة الانفتاح على النخب الشابة والفعاليات المدنية الغيورة على مستقبل المنطقة عامة وخاصة العيون، هذه الطاقات التي تم تهميشها وإبعادها من قبل النخب التقليدية لأسباب غير مفهومة، وهو ما أدى إلى حدوث نوعا من النفور والتصادم بين النخب التقليدية وشباب المنطقة، مما سهم إلى حد كبير في الاحتقان الذي عاشته مدينة العيون"[3].

توج التزام الدولة بالعمل من أجل تنمية هذه الجهات سنة 2002 بتأسيس وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لأقاليم جنوب المملكة، هذه المسألة التي أعطت زخما جديدا لعمل السلطات العمومية من خلال مقاربة تعتمد على القرب والإنصات والتشاور مع الشركاء على المستوى المحلي والجهوي والوطني هكذا، وفي سياق هذا التفاعل "تمت بلورة برنامج يتضمن ما يربو على 226 مشروعا بغلاف استثماري إجمالي بلغ 7,20 مليار درهم يمتد طيلة فترة 2004-2008 ويغطي هذا البرنامج سبعة محاور للتنمية من بينها تشجيع التشغيل، والرفع من القدرة الشرائية ومحاربة السكن غير اللائق وتعميم الاستفادة من الخدمات الأساسية والتجهيزات الجماعية"[4].

كما هم ارتفاع مؤثرات الأقاليم الصحراوية بشكل خاص البعد الاجتماعي، "فبعد أن كانت نسبة أرباب الأسر دون مستوى دراسي تتجاوز 78 بالمائة في سنوات الثمانينات، انخفضت هذه النسبة منذ بداية العقد الأخير إلى 50,6 بالمائة وهي نسبة أدنى بشكل كبير من المتوسط الوطني البالغ 66,1 بالمائة وقد شمل هذا التحول في الرأسمال البشري أيضا تمدرس الأطفال، هكذا، بلغت النسبة العامة

---

[1] الجوهري محمد (محمود)، المرجع السابق، ص 140.

[2] Gadaus Jeans, Les tourgs, musée d'éthnographie de new châtel, Paris 1971, p: 9.

[3] المدراوي هشام، الوالي الخليل الدخيل وملفات العيون الكبرى: السكن والشغل والأمن وإدماج العائدين، جريدة الصحراء الأسبوعية، المغرب، العدد 110، من 17 إلى 23 يناير 2011، ص 12.

[4] اللجنة الاستشارية للجهوية، الكتاب الثالث، دراسة عن جهوية المتقدمة في خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، المغرب، بتاريخ 16 مارس، 2010، ص 16.

للتمدرس في سنة2009 حوالي 80 بالمائة في السلك الابتدائي، و 52 بالمائة في الثانوي الإعدادي، مسجلة تطورا ملموسا خلال السنوات الأخيرة وفي انسجام مع الدينامية الوطنية الهادفة إلى تعميم التمدرس، كما تم تحقيق تقدم كبير على مستوى محاربة الأمية، إذ أصبحت نسبة الأمية لدى السكان البالغين 10 سنوات فما فوق لا تتجاوز 40 بالمائة في بعض الجهات (جهة وادي الذهب)، وهي نسبة أدنى من المتوسط الوطني الذي قارب 43 بالمائة في سنة 2004"[1].

وفي إطار مواكبة وتفعيل الإستراتيجية الوطنية لإدماج مقاربة النوع خاصة على المستوى المحلي، وضعت مديرية تأهيل الأطر برنامجا لدعم قدرات المنتخبات المحليات يرتكز على المحاور التالية:[2]

- التكوين والتدريب في ميدان القيادة لفائدة رئيسات الجماعات الترابية والنائبات الأولات لرؤساء الجماعات الترابي
- دعم التشبيك على المستوى الجهوي والوطني والدولي.
- دعم إحداث الشبكة الإفريقية للمنتخبات المحليات.[3]

ومن أجل تحفيز النساء على اختراق الفضاء السياسي وذلك باللجوء إلى الآليات المناسبة مثل التحسين بأهمية الممارسة السياسية وتشجيع الانخراط في الأحزاب السياسية ولقد انخرط المغرب في أوراش كبيرة للتنمية السياسية والمجتمعية طبعتها عشرية ذهبية بالنسبة للنساء ولدعم حقوقهن الأساسية أهمها إصلاح مدونة الأسرة سنة 2004 وتبني الحكومة لخطتين عموميتين ألا وهما "الاستراتيجية الوطنية من أجل الإنصاف والمساواة بين الجنسين بإدماج مقاربة النوع الاجتماعي في السياسات والبرامج التنموية"، سنة 2006 اللتين عهد بتنسيق تنفيذها إلى وزارة التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن، وتطرح الاستراتيجية الثانية قضية تعديل الأنظمة الانتخابية من أجل تشجيع التمثيلية السياسية المنصفة للنساء"[4].

---

[1] اللجنة الاستشارية للجهوية، الجوية المتقدمة في خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، الكتاب الثالث، المغرب، 2011، ص 32-33.

[2] اللجنة الاستشارية الجهوية، تقرير حول الجهوية المتقدمة، الكتاب الأول، المغرب، بتاريخ 3 يناير 2010، ص 32.

[3] اللجنة الاستشارية الجهوية، تقرير حول الجهوية المتقدمة، ص 21.

[4] إعلان قرطبة، الصويرة، المنتدى الأول لقرطبة حول النساء والسياسة المحلية، مارس، 2008، فضلا عن: التقرير المتعلق بنتائج التشخيص التشارك يجول وضعية ممارسة وضعية المرأة المنتخبة، نونبر 2010، ص 20.

وهو ما يتطلب المساهمة في تنشيط دور المرأة في الحياة العامة في كافة أوجهها، ومنها بشكل خاص دورها في الحياة العامة ومختلف مجالات الثقافة، وفي هذا المجال، يجب أن تصبح الدراسات النسوية جزءا من مناهج التعليم في مختلف مراحله، وقد ظهرت عدة مبادرات نسويه في هذا المجال وغيره، ولابد من تشجيعها[1]. إن رهان على فاعلية الفاعل المدني اليوم يتوقف على توفير التكوين اللازم والدعم الضروري لجعله مؤهلا وقادرا على الانخراط الجاد في قضايا الكونية وتحقيق الاستقلالية التي تكفل له مكانة الشريك المبادر، ولتفعيل هذه الجهوية يجب إشراك الفاعل المدني باعتباره قوة اقتراحية وحامل لخصوصيات وهموم الجهة التي ينتمي إليها حيث لا يجب أن تغيب العناصر الأصلية والخصوصيات المنفردة لكل جهة أو إقليم على حدة من حيث الموارد والإمكانات الذاتية في ظل عمومية الخطاب التنموي، ومن هنا تأتي أهمية وأحقية إشراك الفاعل المدني على مستوى الإعداد والتهيؤ والتخطيط والإنجاز[2].

ولعل هذا ما دفع الفيدرالية الجهوية للتنمية والتكوين بالمغرب إلى تنظيم ملتقى دولي سنوي للجمعيات والمنظمات غير الحكومية، شكل فضاء لدراسة وبحث واقع وآفاق العمل الجهوي وإيجاد السبل والحلول لتجاوز إكراهاته وعوائقه عبر تقرير وإصدار توصيات ملزمة لمختلف المتدخلين في مجال التنمية. وأن الأهمية الجيواستراتيجية لمدينة العيون والدينامية الجهوية التي تزخر بها وتماشيا مع شعار الندوة حول "أي دور للفاعل المدني في التنمية الجهوية؟".

وعلى مستوى الأحزاب التي عليها تجديد هياكلها ونخبها، وفتح المجال أمام الأطر الشابة والكفاءات الفعلية لتحمل مسؤولية التسيير داخل الهياكل بعد القطع مع منطق الولاء والتوريث، "حينها سترقى الأحزاب إلى مستوى تطلعات المواطنين الذين ترسخت لديهم قناعة بأن الأحزاب غدت انتهازية بعد أن هيمن عليها حب الكراسي وشراء الذمم، لهذا، ستكون المبادرة الملكية بإطلاق دينامية الجهوية الموسعة إكسير الحياة لبث التغيير في الأحزاب وجعلها تنفتح على المجتمع وهيئاته المدنية بما يساهم

[1] حركات حليم، المجتمع العربي المعاصر، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط1، 2008، ص 574.
[2] حركات حليم، المرجع السابق، ص 574.

في خلق نخب محلية قادرة على الانخراط بفعالية في إدارة الشأن المحلي والاستجابة لمشاغل المواطنين بما ينسجم مع التوجيهات الملكية كما وردت في خطاب العرش سنة 2002"[1].

خاتمة

توجد بعض الإكراهات تشكل حجر عثرة أمام تحقيق الأهداف التنموية الكبرى بالمنطقة، أهمها "العامل السياسي" الحاضر بقوة وكمحدد رئيسي يعيق عجلة التنمية والبناء، حسب الخبراء والمختصين في حقل العلوم السياسية، إلى جانب أهم التحولات والتغيرات العميقة التي مست النسق القبلي والفعل السياسي والثقافي والممارسة الاقتصادية... وبنية ووظيفة الأسرة، بل حتى العلاقات الاجتماعية وتقسيم العمل بالمنطقة، كل هذا ساهم في تحول في وضعية ومكانة المرأة من داخل المجتمع الصحراوي، بدءا من المرأة البدوية (زمن البداوة) التي استقرت ألان و أخذت تضطلع بأدوار هامه لتصبح مسؤولة عنها مسؤولية كاملة لاسيما مع مرحلة (الاستقرار) مع دولة المؤسسات، وقد ساعد على ذلك خروجها للعمل وكذلك خروج الرجل للاشتغال في المؤسسات الإدارية والحكومية أو شركات التعمير والاندماج المهني بمؤسسات رائدة ومهامه في تنشيط دورة السيولة بالمنطقة كالفوسفاط والثروات البحرية.

لم تعد المرأة مسؤولة عن البيت وتدبير شؤونه والمساهمة في تربية الأطفال فحسب وإنما امتد دورها ليشمل تربية الأبناء خاصة في فترات غياب الزوج فضلا عن ممارسة التجارة أو رعي الماشية أو قيام بأسفار، أو التعلم، ذلك أن المؤسسات الحديثة والمدنية مكنت المرأة من الحصول، مثلا على عمل خارج البيت مما يساهم في ازدياد مشاركتها في الحياة الحضرية قبل الزواج وخلاله، وقد انعكس هذا كله على مركزها فأعطاها مزيدا من الحرية في السلوك واتخاذ القرارات، مما أدي بدوره إلى نمو قدرتها وحضورها في الأسرة والمجتمع والمؤسسات الحكومية والأجنبية ، إلي جانب المجهودات المبذولة من طرف الدولة للتدخل في بناء مناخ مجتمعي يراعي خلق مراكز التربية والتشغيل ومؤسسات العناية بالأم والطفل، وهي مؤسسات اليوم ذات مصداقية للنهوض بمقاربة النوع الاجتماعي .

[1]عن جدول أعمال الندوة الرابعة حول مشاركة المرأة في الدبلوماسية المدنية الموازية تحت شعار: "الدبلوماسية والدفاع عن الوحدة الوطنية"، بتاريخ 22-30-31 ماي 2014 بقصر المؤتمرات العيون، الجهات المنظمة، جمعية جوهرة الصحراء لأوضاع المرأة والطفل، (بدون ترقيم).

يظهر أن دور القيادة النسائية الصحراوية في قلب كل البرامج والاستراتيجيات التنموية بالصحراء من جهة، وحضورها الوازن والفعال داخل الأسرة والمجتمع من جهة ثانية، ثم الدور الكبير الذي تقوم به لتحمل المسؤوليات الجسيمة في جميع المجالات، غير أنه تبقي عملية الاطلاع على دور المرأة في مجال التنمية بالصحراء بمختلف جوانبه ليس بالأمر الهين ولا السهل، نظرا لعمومية الموضوع وشموليته، مما يجعل من الصعب بمكان احتواءه في مقال او مقالين، هذا كله يجعل من تجربة الكتابة في هدا الموضوع بالذات، مجرد لبنة أولى تحتاج إلى دراسات وأبحاث هي الأخرى تساهم في الكشف عن الدور الذي تلعبه المرأة في المجتمع الصحراوي من أجل النهوض به في جميع المجالات.

وفي ظل تنامي مسلسل من الأوراش الكبرى للتنمية بالأقاليم الجنوبية عامة وجهة الساقية الحمراء ووادي الذهب خاصة في العديد من المجالات والقطاعات الحيوية بالجهة، تبقي مقاربة النوع الاجتماعي ضمن أهم الاستراتيجيات التنموية التي يجب الالتفات اليها بكل مسؤولية من خلال تلبية حاجيات– ساكنه الجهة- لاسيما الشباب منه- حاملي الشواهد العليا- لما تعكسه رسائل المحتجين- ثقافة الاحتجاج– في وجه المؤسسات الوطنية واتجاه فئة نخبة التقليدية الممثلة في الأعيان وشيوخ القبائل..، لمطالبة الجهات الوصية علي قطاع التنمية المستدامة بأخذ عين الاعتبار كل ما من شأنه ان يدفع بعجلة دور الشبيبة النسائية أو القيادات النسائية كعنصر فعال وشريك أساسي في بناء واستثمار السياسات التنموية ببلادنا .

بيبليوغرافيا

- أطويف المحجوب، الحرف اليدوية النسائية بالمجتمع الحساني: منطقة وادنون أنموذجا، مجلة وادي درعة، عدد 23، مطبعة شمس برنت، مدينة سلا، 2016.

- البوزيدي محمد، الخيمة في مجتمع الصحراء، موسوعة الصحراء، تنسيق محمد البوزيدي، ط1، دار القلم، الرباط، 2016.

- اركيبي (صلاح الدين)، الحرف التقليدية الحسانية: زمن البداوة والترحال، أعمال ندوة الصحراء جدلية الإنسان والمجال، أشغال الملتقى للفكر في الصحراء المغربية، بوجدور، منشورات جمعية الشعلة للتربية والثقافة، أيام 09-10 يناير 2013.

- الجراري عباس، ثقافة الصحراء، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ط، 1978.

- الجوهري محمد (محمود)، علم اجتماع التنمية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009.

- الحيسن ابراهيم، لبلوح أو شعيرة التسمين، مجلة ثقافة الصحراء، العدد04، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2015.

- الحيسن ابراهيم، المشغولات الجلدية في الصحراء: الاثنوغرافيا الأيقونية وسلطة الرمز التشكيلي، أعمال ندوة الصحراء جدلية الإنسان والمجال، أشغال الملتقى للفكر في الصحراء المغربية، منشورات جمعية الشعلة للتربية والثقافة، بوجدور، أيام 09-10، يناير 2013.

- السعيد رشيد، ولحرش كريم، الحكامة الجيدة بالمغرب ومتطلبات التنمية البشرية المستدامة، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، أبريل 2009.

- الظريف محمد، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية 1800- 1956، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2002.

- العطري عبد الرحيم، المساواة الاجتماعية هي أساس المواطنة الحقيقية، جريدة الصحراء الأسبوعية، العدد 112، من 31 إلى 6 فبراير 2011.

- الغربي محمد، الساقية الحمراء ووادي الذهب، منشورات دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، (د.ت).

- اللجنة الاستشارية للجهوية، دراسة عن جهوية المتقدمة في خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بتاريخ 16 مارس، 2010.

- المختار السوسي محمد، المعسول، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1380هـ/1961.

- المدراوي هشام، الوالي الخليل الدخيل وملفات العيون الكبرى: السكن والشغل والأمن وإدماج العائدين، جريدة الصحراء الأسبوعية العدد 110، من 17 إلى 23 يناير 2011.

- النحوي الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني، من خلال الجامعات البدوية (المحاضر)، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، 1987.

- النعمة علي (ماء العينين)، معلمة المغرب، ج4، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1، 2014.

- الهموني إسماعيل، ظهور الأحزاب السياسية في الصحراء باهت، جريدة الصحراء الأسبوعية، العدد 115، من 21 إلى 27 فبراير 2011.

- باتا الحسين، صورة المرأة في مجتمع الصحراء، أعمال ندوة الصحراء جدلية الإنسان والمجال، أشغال الملتقى للفكر في الصحراء المغربية، منشورات جمعية الشعلة للتربية والثقافة، بوجدور، المغرب، يومي 09-10 يناير 2013.

- باتا الحسين، لمحات عن تاريخ أولاد بوعشرة، إعلاميات مطبعة ملك سطات، ط1، 2010.

- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام 2005 نحو النهوض بالمرأة في الوطن العربي، المكتب الإقليمي للدول العربية، المطبعة الوطنية، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2006.

- بن أحمد أكنسوس (محمد)، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا السجلماسي، تقديم وتحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1994.

- بن الأمين الشنقيطي (أحمد)، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، بعناية فؤاد سيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء، ط2، 1958.

- بن الشيخ ماميا آل الشيخ ماء العينين (الطالب أخيار)، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي، ج1، مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، مطبعة بني يزناسن، مدينة سلا، ط1، 2005.

- بن المختار بن الأعمش (سيدي محمد)، نوازل سيدي محمد بن المختار بن الأعمش، تحقيق: محمد بن الأمين بن الشيخ محمد الحافظ، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، شعبة الدراسات الإسلامية، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكدال- الرباط، السنة الجامعية 1995-1996.

- بن بكار السباعي (صالح)، الأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع، مطبوعات الرابطة العالمية للشرفاء السباعيين، مطبعة وراقة داكار، ط2، الرباط، 2005.

- بن محمذن بن حجاب (بابكر)، منظومة ابن حجاب في تاريخ إمارة الترارزة (1185-1314هـ/ 1771-1896م)، تحقيق وتعليق: خديجة بنت الحسن، بيت الحكمة، قرطاج، وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للجمهورية التونسية، د.ت.

- تقرير التنمية الانسانية العربية، الشباب والأفاق: "التنمية الانسانية في واقع متغير، شعوب متمكنة وأمم صامدة"، صادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المكتب التنفيذي للدول العربية، بيروت، لبنان، 2016.

- حركات حليم، المجتمع العربي المعاصر، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط1، 2008.

- دحمان محمد، الكتابات التاريخية الإسبانية حول منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب: قراءة سوسيوتاريخية، مجلة المناهل، العدد: 89-90، منشورات وزارة الثقافة، المغرب، 1 يونيو 2011.

- زهرة شكاف، النظام الجزائري يسعي لإطالة أمد الصراع للتغطية على أزمته الداخلية، جريدة الصحراء الأسبوعية، العدد 110، من 17 إلى 23 يناير 2011.

- محمد بيب (محمد الأمين)، فتاوى العلامة سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم ومعها نظم كل من الشيخين الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ والشيخ محمد العاقب بن مايابى للفتاوى المذكورة، ط1، 2002.

- ولد عبد الله العتيق (أحمد بابا)، تاريخ حياة الشرفاء أهل بَارْكَلَّه أخلاقهم وعاداتهم، نواكشوط، موريتانيا، ط2، 2008.

- ولد محمدن (محمد)، المجتمع البيظاني في القرن التاسع عشر، قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط، 2001.

- Balandier G, Sociologie actuelle e l'afrique noire, presses universitaires de france. Paris, 1963.

- Gadaus Jeans, Les tourgs, musée d'éthnographie de new châtel, Paris 1971.

- Strauss Claude (levi), Les structures élémentaires de la parenté, mouton et co, Paris, 1967.